حولية
كلية أصول الدين
بالقاهرة

العدد السادس
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

حولية
كلية أصول الدين
بالقاهرة

العدد السادس

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

المشرف العام ورئيس التحرير

الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق

عميد الكلية

أسرة التحرير

الأستاذ الدكتور عبد المعطي بيومي

وكيل الكلية

الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم القيعي

رئيس قسم التفسير

الأستاذ الدكتور محمد السيد خاطر

رئيس قسم الحديث

الأستاذ الدكتور محمد طلعت أبو صير

رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

• ماينشر في هذه الحولية يعبر عن رأي كاتبه فقط

• ترتيب الأبحاث يخضع لأمور فنية لا تتعلق بمنزلة الباحث

بسم الله الرحمن الرحيم

بفعل عوامل عديدة ضاقت النظرة الدينية والدنيوية للفكر الإسلامى ، وتقوقع هذا الفكر على نفسه. وانكمش فى داخل دائرة ضيقة، وقد أدى ذلك إلى توقف العطاء الحضارى الإسلامى، وبقى التراث رمزاً شامخاً شاهداً على العز الذى ولى والمجد الذى أدبر .

ولم يستطع الفكر الإسلامى بعد ذلك أن يتعامل مع هذا التراث على النحو الذى ينبغى أن يكون ، اللهم إلا بأسلوب الملخصات والهوامش والحواشى وماشاكل ذلك مما لا يدخل فى باب الإبداع الفكرى بأى حال من الأحوال .

فالفكر بطبيعته متجدد ومتطور ومتواصل ، وهذا يعنى أن تكون لدينا إضافات مستمرة تعمل على تجديد خلايا الفكر الإسلامى بصفة دائمة، تماما مثلما هو الحال فى تجديد خلايا الجسم الإنسانى . وإذا كان تجديد خلايا الإنسان لا يعنى أن يتغير شىء فى جوهر الإنسان من حيث هو إنسان فكذلك تجديد خلايا الفكر الإسلامى لا يعنى تغييراً فى جوهر الذاتية الإسلامية.

وإذا كان أسلافنا العظام من أئمة الفقه الإسلامى قد أدركوا أن الفتوى تتغير طبقاً لظروف الزمان والمكان — والإمام الشافعى نفسه أحد الأمثلة البارزة فى هذا الصدد — فإن هذا أمر يجعلنا نراجع تراثنا بفهم متجدد وإدراك متطور من أجل توظيفه فى خدمة قضايانا الإسلامية، لا من أجل التعبد به والتغنى بأمجاده والاكتفاء باجترار ذكرياته العزيزة ، فهذا أمر يعد من قبيل الامتهان لهذا الفكر الموروث .

فالذى يرث تركة ماينبغى عليه أن يعمل على تنميتها والبحث عن أفضل السبل لهذا النماء ، ولكننا لم نفعل ذلك مع تراثنا بالشكل الذى ينبغى أن يكون، ولم نضع خطة محكمة شاملة تراعى الأولويات للاستفادة منه بما يجعلنا نواصل السير على نفس الدرب وبأدوات العصر .

فهل صحيح أن الأول لم يترك للآخر شيئاً؟ إن هذه مقولة باطلة بكل المقاييس ، فمجال العلم واسع الآفاق متعدد الأنحاء ، وبحر المعرفة عميق الأغوار ، وكنوز الفكر نبع لا يغيض فيضه ، وعطاء الإسلام من وراء ذلك كله ممتد إلى قيام الساعة .

ولم يعد الأمر أمر نقاش نظرى حول قضية الأصالة والمعاصرة ، فهذه تعد — فى نظرنا — قضية محسومة ، فنحن من ناحية لا يجوز لنا أن ننفصل عن تراثنا ، ومن ناحية أخرى لا يجوز لنا أن ننفصل عن عصرنا ونجمد ونتقوقع عند حدود ماترك لنا أسلافنا ، فقد أدوا دورهم بكل أمانة وصدق ، ويبقى علينا أن نقـــوم أيضاً بدورنا بنفس الأمانة والصدق ، وإلا فلسنا جديرين بالانتساب إلى هؤلاء الأسلاف العظام .

إن هناك نوعا من الارتجالية الثقافية والعشوائية الفكرية يسود المسيرة العقلية فى عالمنا الإسلامى ، ولعل ذلك يرجع فى المقام الأول إلى عدم التحديد الدقيق لأهدافنا ، وانعدام الرؤية الواضحة لغاياتنا ، وغياب التخطيط السليم لحياتنا الفكرية بصفة عامة ، الأمر الذى أدى إلى انقلاب هرم الأولويات فى حياتنا الثقافية والدينية على السواء ، مما جعلنا فى كثير من الأحيان نغـــرق أنفسنا فى الاهتمام بأمور هامشية تستهلك جهودنا وتستنزف قوانا وتضيع أوقاتنا من غير طائل .

فإذا كنا حريصين حقا على إعادة بناء حياتنا الفكرية ، وإثبات وجودنا فى عالم اليوم مع الحفاظ على هويتنا الثقافية المتميزة ، فلابد لنا من وقفة نراجع فيها أهدافنا وخططنا ومشروعاتنا ووسائلنا حتى نستطيع أن نلحق بركب العصر بشخصية متميـزة لا تذوب ولا تنماع فى فكر الآخرين ، وفى الوقت نفسه لا تتقوقع ولا تنغلق أمام متغيرات العصر ، بل تواجهها بكل شجاعة مواجهة سليمة فتستفيد وتفيد. فالتراث الإنسانى

فى النهاية أخذ وعطاء، وليست هناك أمة عريقة فى التاريخ إلا وقد أعطت كما أخذت من هذا التراث .

والسؤال الذى ينبغى أن يساله أهل الفكر الإسلامى لأنفسهم باخلاص وبصفة مستمرة هو : ما الجديد الذى قدموه للنهوض بالفكر الإسلامى فى عالمنا المعاصر بعيداً عن مجال ردود الأفعال والمواقف الوقتية العارضة ؟

إن القضية باختصار شديد تتلخص فى أن نحدد بالضبط : من نحن ؟ وماذا نريد ؟ وكيف السبيل ؟ والإجابة الصحيحة عن ذلك هى الخطوة الأولى على الطريق الصحيح .

ونحن — بوصفنا من المشتغلين بالتراث الإسلامى ، ومن العاملين فى حقل الفكر الإسلامى قديمه وحديثه — مطالبون قبل غيرنا بأن يكون لنا دور رائد ومتميز فى هذا المجال .

وبالله التوفيق ومنه نستمد العون والسداد .

رجب ١٤٠٩ هـ
فبراير ١٩٨٩ م

ا . د . محمود حمدى زقزوق